NASS
مـــركـــز نـــون للدراســـات الاستـراتيـجيـة
Noon Association for Strategic Studies

تـقـــديـر مـوقـــف

قضاء سنجار بين الماضي والحاضر وافاق المستقبل

مركز نون للدراسات

26 مارس / اذار 2017

Noon Association
for Strategic Studies
info@nooncenter.org
www.nooncenter.org

مُلخص :

تحاول هذه الدراسة تسليط الأضواء على مدينة عراقية شهدت وضع غير مستقر خلال مراحل زمنية مختلفة عبر التاريخ ، وذلك لجملة أسباب تتداخل فيها ثوابت جغرافية مع حقائق التاريخ، فضلاً عن إدارات مختلفة ، وتركيبة مجتمعية متنوعة، أثرت ولم تزل على المدينة ، وأسلوب حياتها، وسيرها في المستقبل. الأمر الذي دفع بمركز نون للدراسات الإستراتيجية للبحث في حيثياتها ومكنوناتها الداخلية بصورة شمولية، للوقوف برؤية موضوعية على المشكلة التي تعانيها اليوم في ظل تنازع أكثر من أرادة للسيطرة عليها وأدارتها، فضلاً عن محاولة أستشراف تلك السيناريوهات المستقبلية المحتملة لها.

مقدمة :

تشكل مدينة سنجار نقطة مهمة في بعدها الأستراتيجي الواصل مع سوريا غرباً وتركيا شمالا، وامتدادها جغرافياً مع جغرافية أقليم كوردستان العراق . وكما هو معلوم تعد مدينة سنجار احد اهم أقضية محافظة نينوى المستقرة الى تاريخ دخول الأحتلال الأمريكي للعراق في العام 2003، بعد ذلك التاريخ بدأت حركة من عدم الاستقراء تشهدها المدينة ، تزامناً مع وضع غير هادئ شهدته المدينة بمكوناتها المتنوعة ، تعمق بين فترة واخرى إلى أن استقر بها الحال تحت سلطة تنظيم الدولة مايسمى (بداعش) ، وما تلا ذلك الأحتلال من سبي ونهب ودمار طال كل شيء في تلك المدينة، إلى أن تم تحريرها بعد عام ونصف من قبل قوات البيشمركة الكوردية لتنتهي فترة موجعة لها ، خاضتها في ظل وجود فكر متطرف. يعد غالبية سكانها من أنصار "دار الحرب" ، ويكفرهم ، دونما أدنى أعتبار للجانب الانساني للمدينة وأهلها.

ثوابت جغرافية :

تقع مدينة سنجار في الجهة الغربية من محافظة نينوى شمال جمهوية العراق، وتبلغ مساحة مركز قضاء سنجار 2928 كم2 ، وتتبعها ناحيتي الشمال والقيروان ، وتعد سنجار أحد أهم تسع أقضية تشكل بمجملها محافظة نينوى ومركز قضاؤها الموصل . تبعد مدينة سنجار عن مركز قضاء الموصل مسافة 120 كم2 ، كما يسكنها قرابة 86 ألف نسمة من مواطنيها الذين ينتمون إلى قوميات وأقليات دينية متعددة تتمثل بأغلبية من الطائفة الإيزيدية، وقوميات من العرب والأكراد والتركمان، فضلاً عن أقلية من المسيحيين السريان .

ولعل أهم ما تتميز به مدينة سنجار هو جبل سنجار، ذلك الجبل بأرتفاعه الشاهق، وبأشجاره الجبلية الصلدة، وصخوره الوعرة ، وسفحه الواسع الذي تستوطنه قرى ينتمي سكانها إلى الطائفة الإيزيدية، فضلاً عن إحاطته ببعض القرى العربية .

حقائق تاريخية :

بدءً ليس هنالك أتفاق على أصل تسمية مدينة سنجارSinjar ، فبينما يشير في اللغة الكوردية إلى شنكال ، والتي يقصد بها الجهة الجميلة ، لا توجد رواية مؤكدة باللغة العربية لتسمية سنجار بهذا الأسم ، فالبعض يربطها بقصّة الطوفان، وهي رواية ضعيفة إلى حدٍ ما، تقول بأنّ سفينة النبي نوح عليه السلام عندما مرّت بالجبل احتكّت به، فقال هذا سن جبل جار علينا، فسمّي الجبل سنجار، وقيل إنّ تسمية الجبل بهذا الاسم تعود إلى أنّ إحدى عشائر قبيلة شمر التي سكنت هذا المكان اسمها سنجار فسمّيت المنطقة باسمها. وهكذا ما من دلالة قاطعة على تسمية القضاء بهذا الأسم .

وعموماً فإنّ جبل سنجار هو أحد أقدم الأماكن التي سكنها الإنسان في العراق القديم، ويعود تاريخه إلى حوالي ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد . ويعد المسيحيون السريان السكان الأقدم في مدينة سنجار يليهم الإيزيديون ثم العرب.

ولعل من المهم الاشارة هنا إلى أن تاريخ هذه المدينة كان قد أمتزج بتأثير تلك الثقافات والمجتمعات التي مرت عليها بدءً بالأمبراطورية اليونانية والرومانية ، فضلاً عن الفارسية والعثمانية.

ويتمثل أبرز معالم قضاء سنجار بأحتضانه معبد شرميرا ، والذي يعني أربعين "رجلا" ، و يقع عند أعلى نقطة في الجبل، ولا يعرف سبب تسمية هذا المعبد لأنه قديم جدا، لكن يعتقد أنه يرمز لمقتل أربعين رجلا على قمة هذا الجبل، كما ويدل "تل حموكر" على وجود حضارة عريقة في وادي وسهل سنجار قبل نحو ستة آلاف عام. تبقى الحقيقة الثابتة عبر التاريخ، هي أن سنجار مدينة تقع حالياً ضمن أراضي الدولة العراقية، وأن مرت فترات شهدت أنضمامها كما باقي العراق ألى أمبراطوريات عديدة توسعت عبر التاريخ.

سنجار من عام 2003 ولغاية احتلال تنظيم الدولة (داعش) لها :

لم تشذ مدينة سنجار العراقية عن باقي مدن العراق في الأحوال التي شهدتها عقب الأحتلال الأمريكي للعراق مباشرةً عام 2003، لا بل أن لهذه المدينة خصوصية أكثر من غيرها كونها مدينة قريبة من حدود دولة مجاورة هي سوريا، التي كانت تتقاطع تماماً مع الوجود الأمريكي في العراق، وتقترب جداً من محور طهران في ذلك التقاطع.

لم تكن الأعوام التي مرت على مدينة سنجار عقب الأحتلال الأمريكي للبلاد باليسرة، بل على العكس من ذلك شهدت هذه المدينة موجات عميقة من عدم الأستقرار، وذلك لأسباب عديدة منها على سبيل المثال تنازع الإدارة الذي شهدته المدينة نتيجةً لوجود تيارات حزبية وسياسية متعددة، فضلاً عن نشوء تيارات ذات فكر متطرف داخل العراق تُحرم وتُكفر بعض المذاهب والطوائف، وكانت الطائفة الإيزيدية من ضمن المُحرمين، طبقاً لفكر هؤلاء، الأمر الذي أنعكس على فترة صعبة شهدتها المدينة، عبر سلسلة من الأختراقات الأمنية الكبيرة مُتمثلة بالأنفجارات والأغتيالات، وغيرها من مظاهر عدم الاستقرار السياسي والأجتماعي، ناهيك عن بعض الأختلافات ما بين بغداد وأربيل على مدينة سنجار وأسلوب

إدارتها، بعدها من المناطق المتنازع عليها في محافظة نينوى، والمشمولة بالمادة 140 من الدستور العراقي لعام 2005.

لم تكن الظروف التي شهدتها مدينة سنجار من عام 2003، والى منتصف العام 2014، أسوء من تلك التي مرت عليها منذ سيطرة تنظيم الدولة ما يسمى بـ (داعش) عليها بالكامل، بعد أنسحاب قوات البيشمركة الكوردية منها على اثر معارك مع داعش في ظل النقص الحاد في معدات قوات البيشمركة، نتج عنها سيطرة هذا التنظيم المتطرف على المدينة في تمام الساعة الثالثة من فجر يوم الاحد المصادف 3 أب 2014.

عُدَ ذلك الأحتلال، وما نتج عنهُ من تدمير للُبنى التحتية، وقتل للأنسان وتهجير وسبي للنساء، الأكثر دموية في تاريخ المدينة، إلى درجة خرجت فيه منظمة الأمم المتحدة UN عن صمتها، مُنددة بما أحدثه تنظيم الدولة (داعش) من مجازر، خصوصاً ضد ابناء الطائفة الإيزيدية هناك في بيان أصدرته الأحد المصادف 3 أب 2014، مؤكدة على لسان المبعوث الخاص للأمين العام للامم المتحدة في العراق نيكولاي ملادينوف "إن مأساة أنسانية تحصل في سنجار تصل إلى درجة جرائم الحرب والجرائم ضد الأنسانية والإبادة الجماعية" وأن ما يقرب من 200 ألف شخص فروا إلى الجبل ، بظروف انسانية قاسية، هرباً من بطش داعش.

سنجار من 3 أب 2014 الى الأن ..

مَثَلَ دخول تنظيم الدولة (داعش) مدينة سنجار، بداية لمأساة انسانية كبرى ، نتيجة لبشاعة المجازر التي أرتكبت هناك، وبمختلف صورها وأشكالها، في محاولة من قبل هذا التنظيم بفكره المتطرف إلى خلق بُعد جيوسياسي لدولته المزعومة، مُتمثلاً بتوسيع رقعة هذه الدولة أولاً، وإيجاد ممرات مباشرة وذات بعد إستراتيجي تربط مدينة الرقة السورية "عاصمة مايسمى بدولة الخلافة الإسلامية" بالموصل .

كان التنظيم يسير بأستراتيجية سريعة تتمثل بالتمدد السريع في مناطق هشة أمنياً وربما عسكرياً في ظل المعدات العسكرية المتفوقة نوعاً ما على ما تمتلكه القوات الأمنية في تلك المناطق التي يتمدد على حسابها. وفي ظل تأطيره بأيديولوجية ذات فكر ديني يتم من خلالها غسل عقول الكثير من جنود مرتزقته.

إن السيطرة السريعة لتنظيم داعش على مدينة سنجار ما لبثت أن كتب لها نهاية سريعة ايضاً، مع بدء إدراك ألتنظيم أن المدينة لن تقبع طويلاً تحت سيطرته، في ظل محوريتها وأهميتها الأستراتيجية. فضلاً عن سعي كل من حكومتي بغداد وأربيل لأنهاء سيطرت هذا التنظيم على المدينة في ظل بشاعة الجرائم التي أرتكبت على أيدي مرتزقته هناك، والموقف الدولي الواضح منها.

ثمة أتفاقات كانت نتيجة لعديد من اللقاءات ما بين مسؤولين عن بغداد وأربيل وبوجود أمريكي ، نتج عنها وضع خطط عسكرية مُمنهجة لتحرير الأراضي العراقية من تنظيم داعش، على أقل تقدير للحفاظ على خط الحدود مع سوريا، ومنع تنقل الأمدادت من والى عناصر تنظيم داعش ما بين العراق وسوريا، التي تعيش حالة من الفوضى مع وجود فصائل مسلحة عديدة منذ العام 2011 تنادي بضرورة تغيير النظام السوري القائم هناك، في ظل دخول روسي قوي على الأرض متمثل بتواجد لقوات ومعدات وبوارج وحاملات طائرات روسية على الأرض السورية عقد من خيارات قواعد الأشتباك ، في ظل تقاطع مصالح دولية أمريكية روسية هناك، مع مصالح دول أقليمية متمثلة بالمصالح التركية والأيرانية والسعودية في العراق وسورية .

ما أن تم التنسيق ما بين الولايات المتحدة الامريكية واربيل وبغداد، في ظل تجاوز أكثر من خلاف بين حزب العمال الكردستاني PPK واربيل ، والذي أرجأ بسببه أنطلاق معركة تحرير سنجار، حتى شرعت قطاعات من قوات البيشمركة الكوردية قوامها 7000 مقاتل، فضلاً عن وحدات من حزب العمال الكردستاني مع وحدات من حماية الشعب الكوردية YPG • ، وبدعم واسناد أمريكي جوي مباشر

•- "وهي وحدات كوردية سورية، تختص بحماية أكراد سوريا وتتبع للإدارة الذاتية الديمقراطية في سوريا، وتمثل أحد مكونات القتال الدائر في سوريا ضد تنظيم ما يسمى(بداعش)، ويصل عدد مقاتليها إلى أكثر من 90 ألف مقاتل، بعد طرحها لموضوع الخدمة الإلزامية في المناطق التابعة لها، وترتبط حالياً بعلاقة قوية مع واشنطن التي تدعمها بالمعدات لوجستياً في حربها ضد تنظيم داعش عامة، و تلك التي يعد لها في أكبر مدنه "الرقة" بصورة خاصة".

بتحرير المدينة من قبضة داعش عليها، في يوم الجمعة المصادف 13 تشرين الثاني 2015، لتنتهي فترة حكم داعش للمدينة والذي دام أكثر من عام.

ما أن أنتهى تحرير مدينة سنجار، حتى برزت الخلافات السياسية على السطح، لاسيما بين بغداد وأربيل ، ففي الوقت الذي أعلن فيه رئيس أقليم كوردستان العراق السيد مسعود البارزاني في مؤتمر صحفي من سنجار يوم الجمعة المصادف 13 نوفمبر 2015، عقب تحريرها مباشرةً مخاطباً الإيزيديون هناك بالقول " كان هدفنا الحاق سنجار باقليم كردستان وقد نجحنا في ذلك، ولا تفكروا بأننا سنسلم هذه المناطق لأي أحد في المستقبل، واطلب من حكومة الإقليم أن تبذل كل الجهود رغم الازمة الاقتصادية في كردستان من أجل اقامة إدارة خاصة والتعامل حتى مع بغداد من أجل تحويلها إلى محافظة" . تزامن ذلك مع تنصيب أقليم كوردستان لقائم مقام يدير أمور المدينة التي خلت تماماً من السكان ، عقب التحرير بسب نسبة الدمار الهائلة التي شهدتها.

من جانبه ، لم يرقى ذلك كثيراً لحكومة بغداد ، التي عملت على تقديم الدعم بطريقة أو أخرى إلى قيادي في وحدات حماية سنجار "قوات من الإيزيديين الذين قاوموا داعش أثناء أحتلاله للمدينة، وأنسحبوا الى جبل سنجار، يبلغ قوامهم 3200 مقاتل" المعروف بـ حيدر ششو ، وهو قيادي في حزب الأتحاد الوطني الكوردستاني ، الذي ما لبث أيضاً الى الإعلان عن إستمالته لقوات البيشمركة أثر أعتقاله من قبل سلطات الأفليم والأفراج عنه في وقت أخر.

وهكذا تجسد البعد السياسي للمسألة ، ليأحذ حيزاً أكثر أتساعاً، لاسيما بعد الأتهامات الموجهة إلى بغداد بدعمها لوحدات خاصة شكلها حزب العمال الكوردستاني PKK في سنجار من قبل بعض المتعاطفين معهم، بالإضافة إلى أتهام جهات داخلية بالتعاون مع طهران في دعم وتعزيز وجود هذه القوات داخل سنجار، في ظل أكثر من توتر ميداني حصل ما بين قوات البيشمركة وقوات حزب العمال الكوردستاني، ومحاولة أحتواء الموقف من كلا الطرفين .

بالمحصلة تتجسد معادلة معقدة لقضية سنجار يتداخل فيها أكثر من طرف، في ظل تقاطع المصالح الأطراف بعضها بالبعض الأخر، فبينما تطالب كل من أنقرة وأربيل بإنسحاب الـ PKK من مدينة سنجار العراقية، وأن وجوده هناك يمثل بؤرة لمشاكل مقبلة، يميل رأي ثاني إلى أن هنالك تنسيق ما بين بغداد

والـ PKK ، بشأن وجود ودعم قواته هناك ، وبرضى من طهران إلى حدٍ ما ، لتتعقد المعادلة الأقليمية بشأن مدينة سنجار ببعدها الإستراتيجي الأقليمي، وحتى الدولي في ظل نظرة الولايات المتحدة الأمريكية لمنظمة الـ PKK على أنها منظمة أرهابية، مطالبين أياها عبر وزارة خارجيتها مغادرة سنجار وبالتحديد في تاريخ 28- 12-2016 .

مستقبل مدينة سنجار :

تقتضي الرؤية الموضوعية البوح بحقيقة مهمة ، هي أنه ما من مستقبل واضح لمدينة سنجار في ظل تقاطع الإرادات في النظرة المستقبلية تجاهها، إلا أن ذلك لا يمنع من السير ببعض السيناريوهات المحتملة لمستقبل المدينة والمتمثلة بالأتي :

أولاً: بقاء المدينة قضاء مرتبط بمحافظة نينوى : يميل هذا السيناريو في رؤيته المستقبلية إلى تلك الرؤية التي تفيد ببقاء مدينة سنجار كقضاء تابع لمحافظة نينوى، ذلك ان الضغوط المستمرة بين أكثر من طرف لتغيير إدارة المدينة ربما ستفضي إلى بقاء وضع المدينة كقضاء مرتبط لمحافظة نينوى لفترة أطول، و ربما لحين ان تسود ترتيبات جديدة على وضعها وأسلوب إدارتها في المستقبل.

ثانياً: أنظمامها لأقليم كوردستان العراق : يميل هذا السيناريو إلى أفتراض أخر يرى أن مستقبل المدينة قد يتحدد بألحاقها بأقليم كوردستان العراق، بناءاً على معطيات داخل المدينة، منها مطالبات بعض السكان بذلك، ومعطيات خارجها، متمثلة بمطالبات أقليم كوردستان بها، والإصرار على أنها تمثل جزءاً من أراضي الأقليم .

ثالثاً: إعلانها محافظة : يذهب هذا السيناريو المفترض إلى رؤية تفيد بأن مستقبل قضاء سنجار ربما سيتضح عن أعلانها محافظة عراقية سواءً بمفردها أو حتى مع قضاء تلعفر ، ولهذا السناريو معطياته أيضاً والمتمثلة بالأتي :

نظرة أهل المدينة إلى ان الذي لحق بهم لم يكن قليلاً ، وأن الكوارث الإنسانية التي شهدتها المدينة ستدفع بهم إلى أعلان محافظة خاصة بهم ، يديرون من خلالها شؤونهم الذاتية، كما في باقي محافظات العراق. إن رغبة سكان المدينة في تحويل مدينة سنجار الى محافظة، سيُسهم في تعزيز قدرة أهل المدينة على تقرير مصير مستقبلهم بالأنتماء إلى أقليم كوردستان من عدمه.

رابعاً: الإدارة المشتركة: يذهب هذا الأفتراض المستقبلي ، إلى أن مستقبل مدينة سنجار ربما يتحدد من خلال نوع من الأتفاق المشترك ما بين بغداد وأربيل، على صيغة معينة تدار من خلالها مدينة سنجار ، وبما يضمن ويؤمن المصالح العامة لجميع الاطراف داخل المدينة وخارجها، وربما تصريح مستشار الأمن القومي العراقي السيد فالح الفياض بتاريخ 15 ديسمبر 2015، عن مدينة سنجار بالقول "قادرون على حل موضوع سنجار بالتفاوض"، يعطي زخماً أكثر لحديثنا عن تواجد هكذا أفتراض مستقبلي مُحتمل، لاسيما وأن وضع المدينة مُعقد وحساس، في ظل وجود أكثر من 6 تشكيلات عسكرية مختلفة ، بعضها موالي لأربيل، والأخر لحزب العمال الكردستاني، وربما لبغداد أيضاً، على أقل تقدير في الوقت الحالي.

بعد طرح هذه السيناريوهات العلمية المتعلقة بمستقبل مدينة سنجار، يبقى السؤال القائم هو أي من الأحتمالات المستقبلية يتم ترجيحه بصورة أكثر، وهنا ينوه مركز نون للدراسات الإستراتيجية ألى أن أي من تلك الأحتمالات يبقى قائماً ومحتمل الحدوث ، إلا أن الدور الأكثر في الميل إلى ترجيح هذا السيناريو أو ذلك يبقى برغبة قوية تتجسد لدى سكان القضاء ذاتهم، في تحديد مستقبلهم والطريقة الأمثل التي يؤسسون من خلالها لمستقبل أفضل لهم سواء بمساعدة بغداد، أم أربيل ، أم بغداد وأربيل بصورة مشتركة.